حديقة المقتطف

رابندرانات طاغور

الفصل الثاني

« الوطنية »

أحمد شبوري

تاجور في الحياة والاخلاق

والمدنية والسياسة والمرأة والادب والدين

— ٤ —

لمحمود المنجوري

والوطنية عند تاجور معنىً روحي سامٍ، يلتمسه في غير ما يلتمسه القادة والزعماء من هياج وتدمير واحراق، ولهذا أبى فيلسوفنا الكريم على الزعماء استهواء الجماهير في سبيل الوطن

« ان الذين يبذلون التضحيات في سبيل بلادهم يحق لهم أن يدعوا خدام الوطن، وأما من يكره الغير على التضحية لينال هو المجد فهو الخائن الآثم لوطنه، لأنه يكون قد اختلس حرية مواطنيه ليصعد الى القمة ... ان الذي يريد تأليه وطنه بالهتاف والهياج انما يحب الهياج أكثر مما يحب وطنه، ويكبر شهواته وأغراضه أكبر مما يكبر دواعي الوطن الحقيقية. اننا اذا وضعنا شهواتنا في مكان أرفع من الحقيقة كان ذلك دليلا ثابتا على عبوديتنا »

ولقد سخر تاجور من زعماء الهند ومثّل بهم في روايته « البيت والعالم » على لسان « سانديب » حين قال:

« لقد خلقت للسيادة، ولتسخير الجماهير، فأقودها كما أقود الجواد من حيث الى حيث أريد. ليس التردد، ولا تأنيب الضمير من خلقي، ان قاعدتي في الحياة هي: اني أريد، وان أنال ما أريد. ان الظفر هو الشيء الذي ينال الثروة، والافراد الظافرون يفوزون! »

« ان الذين يعرفون ان ينالوا ما يرغبون فيه هم الذين خلقوا فرحة ». ان طريقتي في الحياة تضطرني الى الاعتقاد ان كل ما كان عظيما في هذا العالم، وان المدنية تزدان بسمار الاحلام وحدهم. أما العظماء فقد احتوتهم الظفر والقوة وانكار الضمير »

« خلق الانسان كالارض، محاطا بضباب من أفكاره، ان حقيقته محجوبة فيه — ان ... من خلق ونزعات قد ولدت معي قبل أن أنشأ نظام جوني ... من الظفر أصبح متعطشا عليه بالقتل وتأنيب الضمير »

« لقد امتحنت أبناء السكينة، ومنكم يستطيع أن يقطع عقد المرأة دون أن يقتلها؟ وأني ... أن يستقيم الثقة: ذهبت نفسي فقطعت عقد المرأة لتحرري. ولقد هتفوا لي أني لا أعرف الضعف الانساني »

ويعارض تاجور زعماء الهند ويتهمهم في وطنيتهم فيقول:

« اني أعرف بلادي من حياتي، ولذلك أرغب في استخدام قوة الاستهواء في سبيل وطني وأما زعماؤها الجهود: هم الذين يثيرون بالشعب استهواءً وتقليدا، ويحسدون انهم يخدمون

فلا دعوى للاصلاح لقيت ... ويحسبون [illegible] كان الوطن [illegible] في هذه الوطن [illegible] أشد [illegible] الوطن في [illegible] هذه الوطن في [illegible]

« ليس من الوطنية أن ترفع الغاية فوق الناس ولا أن تكون التضحية في سبيل البلاد دون [illegible] الزعماء يريدون أن يفرقوا بين الدين والوطن . ولكن الوطنية الصحيحة أن تكون النفس فوق التقديس ، وأن تكون التضحية في سبيل الوطن تضحية شريفة [illegible] متصلة بالانسانية لا يجري فيها ظلم أو يفتن فيها ضمير أو يطغى عليها التعصب [illegible] ويفرق بين الدين والعاطفة والوطن

ان الانسانية هي الوطنية [illegible] ؟

فتاجور ينظر الى الوطنية نظرة تصوّف وتفكير وسمو ، ولا أستطيع أن أتهمه كما اتهمه خصومه في وطنه بالتردد وانحراف الرأي عن فكرة الوطن المستقبلة . فلقد هاجت أقواله خصومه في السياسة واتهموه بما لا ينبغي أن يذكر من ضعف واستسلام لخصوم بلاده . ولقد عارض في روايته « البيت والعالم » الآراء السائدة في الوطنية وأعلن رأيه في الوقت الذي ثارت فيه حركة الوطن الهندي ، وبقي هو بمعزل عن هذه الحركة لا يؤيدها ، وان كان يؤمن بالحق الوطني الذي أثار فكرة الهنود ودفعهم الى الفداء ، ولكنه مع ذلك لا يقر وسائل العنف فيقول على لسان « نيكهل » في روايته

«كل فوز يأتي من طريق الضغط هو فوز عابر يزول بزوال هذا الضغط»

ويعارض الرأي العام الذي يمثله قول الزعيم ساندب

« اني من يريد أن يمتلك [illegible] أن يشرع ويغتصب ، ولن يكون الفوز إلا على يد زعيم يقود البلاد بانتزاع الغير غاصباً لوطنه [illegible] الابطال [illegible] في سبيله [illegible] يجب أن يعطي الوطن [illegible] أصبع في سبيله الارض بدماء الضحايا !

ولكن تاجور يقول:

« اني أريد أن أخدم الادي [illegible] اني لا أريد الدم والنار [illegible] الوطن [illegible] اني لا أريد أن [illegible] الناس وان كانوا [illegible] الاستعداد [illegible] الاستعداد الذي [illegible] الوطنية

وليست فكرة تاجور في الوطنية فكرة أوحتها الخصومة مع الزعماء ، فهو يأبى الخصومة وينكر العداوة ، ولكنها فكرة نشأت من طبيعة النفس الانسانية ، لأنه يعتقد أن الانسانية خير من الوطنية ، وأن الوطنيات مثار الانانية ، ومبعث الاحقاد والحروب . فالمثل العليا هي التي أملت على تاجور هذا النظر المتسامي فهو يقول

ليس من الوطنية أن [illegible] الامم والشعوب [illegible] الحرية [illegible] الانسانية [illegible] الحقائق [illegible] الناس [illegible]

الانسان لبلاده إلا من حيث هي حقيقة كائنة مرتبطة بالعالم »

فتاجور عند ما يعالج شؤون وطنه يعالجها علاج طبيب متريث يقدر الحقائق ويزن الأدوية بميزان دقيق حساس ، فهو حكيم يرقب عواقب الامور ، لا يندفع وراء الهوس والاعصاب ، وهو يقرر الامور حلوة أو مرة ، لا يمالىء ولا يغرر مرضاة لشهواته أو استهواء لآماله

« ان قوانا الحيوية وهي الآن في طور الاحتضار تحتاج الى مباعث تجدد من نشاطها وتهدي أعصابها فما زلنا نناقض الحقائق ونحفل بالترهات . تأخذنا الكلمات الضخمة ويسحرنا بليغ الخطب فيبيت تقاس جدارة الامة في حكم نفسها ببلاغة زعمائها ومزيج طوائفها ، ولكن تقاس جدارة الامم في خلقها وضبط أعصابها وسيادتها على أهوائها وشهواتها »

فالعنصر و الدم والوطن هي مقومات القومية والوطنية التي لا يدعو اليها الفيلسوف تاجور وانما يدعو تاجور الى الوحدة العالمية تلبية لأشرف الغايات التي تدعو اليها فلسفته في الحياة ، وهي الوحدة الروحية ، فهو انساني فهم الجماعة والحياة ونسي نفسه وأنكر أنانيته وحلق فوق الأثرة والمطامع البشرية الملوثة بالشهوات والاغراض ، وهو يحس وطنه قطعة من العالم غير منفصلة ، وهو في تفكيره ومشاعره يحقق دائماً سمو المعاني الجامعة التي تأتلف وطبيعة الاشياء وتمتزج بكيان البشرية كخلية واحدة ، فالقوميات والالوان والعناصر ، كل هذه عوامل هدم في الكيان البشري العام ، ولهذا كانت وطنية تاجور وطنية جامعة تدعو الى الاتصال بالعالم من طريق المحبة وحقوق الانسان وادراك الحقائق ادراكاً صحيحاً

فالوطن في نظر تاجور كلمة معنوية لا تدل على مدلول محدود بحدود الأوضاع والجغرافية[1] والوطن وان كان له تاريخ متصل العروق بالوراثة والدم ، عزيز الذكرى وان جارت الاحداث عليه ، الا ان تاجور يملك أعصابه فيقرر أن فكرة الوطنية فكرة بدائية تدعو الى الانانية والأثرة ، وتحدد أوضاع التفكير البشري ، وتحصر مشاعر الانسان ومثاليه ، وتقهر تطلعه وسموه الى المثل العليا في الحياة ، وتخلق من الانسان خصماً عنيداً لأخيه الانسان ، بل انها تخلق منه عدواً للطبيعة ذاتها اذ يجهد فكره لإذلالها واخضاعها ليسيطر على العلوم سيطرة جبارة ليحارب ويغزو ويستعمر ويدق أعناق البشر

ولكن مهمة الانسان في الحياة يجب ان يكون أسمى ادراكاً لمعاني الحياة من هذه الاوضاع الضيقة المحدودة ، فنشأة الحرية وطبيعة الانسانية تدعو الانسان منذ خلق الى ان يكون أفق حياته واسع المدى غير محدود ، وان تكون حضارته ومدنيته مدنية مشتركة بعيدة

(١) راجع العدد الثالث والعدد ٦ المجلد ٢٠١ المقتطف لوحدة الروحية لتاجور

عن الشعور بالفردية السحيقة فكما انه لا يستطيع ان يخلق عناصر وجوده من ذاته وتفسه ولا يمكنه أن يعيش على ما في جسده من مدّخر ، ولا بدّ له من مدد موصول بما حوله ، كذلك لا يمكن لوطن ان يعكف على نفسه فيعيش غير متصل بالعالم ، فهو مفتقر الى عناصر قد حرمته الحياة اياها وجادت بها على غيره . ففكرة الوطن فكرة مبتورة عن أوصال الوجود والكيان الحيوي الدائم . وانما فكرة التعاون هي فكرة المدنيــة المشتركة لتوليد ثقافة عالمية ليس لجنس أو دم أو عصبية أي فضل فيها ؛ فالحضارة لا تعرف الوطن ولا اللغة ولا الجنس ولا اللون ؛ بل هي رسالة الفكر البشري التي ينبغي ان تعم الدنيا وتشمل الوطن الكبير

والتمادي في الوطنية جرم انساني يبيد الأمم ويفني الشعوب ؛ اذ يحتم وضع الحرب ضماناً للسلام الاجتماعي وضرورة لبقاء الحياة ؛ ولئن كان هذا جائزاً يوم كانت الحدود الجغرافية حقيقة واقعة تفصل الامم والقبائل ، وتجعل كلاً يعتز بكيانه وجنسه ، فليس بعد اليوم من سبيل الى اجازة هذه الامراض الاجتماعية بعد ما أصبحت الحدود الطبيعية شيئاً لاغياً ، وبعد ان تقدمت المواصلات ، وقصرت المسافات وسادت قوة الكهرباء واللاسلكي ولخترقت الطائرة الفضاء . وبعد ان تم التمازج العقلي بين الامم ، وأحست كل أمة في ويلات الامة الاخرى ويلات لها تؤثر في حياتها وكيانها كما يؤثر العضو المريض في بقية الجسد

وتاريخ الانسانية يجب ألاّ يكون تاريخ الحروب والشرور ، وانما يجب ان يكون تاريخ الحضارة والعقل والسلم ، ويجب ألاّ تنفرد به أمة ، فما كانت المدنية لأمة أو لجيل او لجنس او للون أو لوطن واحد

« وان تاريخ الانسانية يجب ان تكتبه جميع الشعوب ، وأن يتوحد جميعهم فيه ، وهنا لا يمكن التقسيم بأن يبيع المرء ضميره في سبيل السياسة والنفوذ ، وان يجعل وطنه معبوداً . . . من رجال الفكر تتوق في سبيل الحقيقة يصبحون خالدين ، وكذلك اذا مات شعب ، فكان هذا السبيل سبيل عمله في تاريخ الانسانية » (١)

فتاجور فيلسوف يدعو الى الاتصال بالعالم ، ودعوته الى العالمية ليست دعوة زهد وتقشف ، فهو يرى في الزهد والتقشف اعلاناً بعداوة الانسان للحياة وعدم ادراك حقائقها ولهذا اراد ان يجوب العالم ، فجابه غير مرة ، وجمع منه بيناً متصل الارجاء ، وطاف بممالك الارض ، وقابل الملوك والقواد ، وأعلن فلسفته على انها صورة صادقة من تفكير الشرق وحماسته ، ثم عاد الى بلاده وفي نفسه حسرة باكية على المدنية الغربية ، مدنية الانانية والاثرة ، مدنية الفتك واذلال الانسانية بالغدر واهدار كرامة الروح ، مدنية الجشع

(١) أبيدن العالم لتاجور

والجوع ، مدنية الذهب والفقر، هذه هي المدنية القائمة على العصبيات والقوميات انها المدنية التي لا تزال ترقص فوق البراكين !

ولقد أنذر تاجور قادة الغرب يوم حاضرهم [١]

« ان مدنيتكم يجب ان تسودها روح المحبة العامة ، وأن تزول منها الأثرة والأنانية ، والتعصب للوطن والجنس واللون ، والا فسيتدفع شبابكم وراء آرائه وعقائده مهلكة مدمرة وستقودون عليكم النذير للحروب والدمار » . « ان مهمة هذا الجيل يجب ان يكون في محو الأثرة من النفوس ، رغبة الناس في مجاهدة في سبيل تغليب الخير في مطالب الحياة وغرائزها وان تمحى فوارق الوطن والجنس واللون وان تسود الناس الوحدة الروحية الجامعة »

تاجور في مصر

ومن الوفاء لتاجور أن أسجل الذكريات التي تركتها زيارته لمصر، فلقد وصل الى القاهرة ظهر يوم الاثنين ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢٦ بعد ان مكث بالاسكندرية يومين وكان المغفور له أحمد شوقي بك قد كرّمه في حفل جامع دعا اليه المغفور له سعد زغلول باشا وجماعة من أعضاء البرلمان والوزراء ، ولقد لبى الجميع الدعوة احتفاء بالشاعر الكبير وترتب على حضورهم تأجيل انعقاد جلسة مجلس النواب ، وتألفت لجنة برآسة وزير المعارف العمومية سعادة علي باشا الشمسي لتكريمه في حفل بفندق شبرد ضم الزعماء ورجال العلم والأدب والتعليم من مصريين وأجانب ، واقيمت له حفلة بمسرح حديقة الازبكية في مساء ذلك اليوم ، وقدمهُ سعادة لطفي باشا السيد مدير الجامعة للحاضرين وتكلم فيها تاجور كلمات جامعة في الشعر والفلسفة والحياة [٢]

وتشرف تاجور بمقابلة جلالة المغفور له الملك فؤاد ، وقد أثرت هذه الزيارة في نفس تاجور حتى انهُ أشار اليها بقوله

« لقد لقيت في مصر ملكا عظيما ذا شخصية جذابة العلم والفضل »

ولقد أكرم جلالة الملك وفادة الشاعر فأهدى اليه مؤلفاته بعد توقيعها بالامضاء الملكي الكريم فعد تاجور هذا تكريماً لتآليفه وإكباراً لدعوته، وطلب يومئذ من جلالته أن تكون هدية مصر الى الهند التآليف والكتب المصرية التي أنجبتها الثقافة الحديثة في مصر تعزيزاً للصلات الروحية بين البلدين

***

ولقد كان شعور المصريين لقاء زيارة تاجور للبلاد هو شعور عطف ومحبة واحترام ، واشتركت في تقديره العاطفة الشرقية التي يشعر بها كل شرقي مثقف ، ولقد رحبت به الصحافة

(١) محاضرات تاجور في امريكا

(٢) راجع خطاب تاجور الذي ألقاه في مصر ص ١٧٢ ج ٢ م ١٠٠٠ المقتطف المجموعة

المصرية واستقبلته مبعوثاً للوحدة الشرقية التي تنشدها شعوب الشرق وتعمل لها من النواحي الاجتماعية والسياسية . ورأت في تاجور رسولاً كريماً جاء ليبعث الصلات المعنوية التي تربط امم الشرق بعضها ببعض . ولئن كانت دهشة هذا الحكيم دافعة كل الشعوب الى احترامه والاقرار بفضله ، فليس شك في ان شرقيته كانت ذات اثر عظيم في شعور العطف والمحبة اللذين خفقت بهما افئدة المصريين فان هذا الفارق الذي اقامته الامم الاوربية بين الشرق والغرب وهذه الصلات التي توطدها فيما بينها وهذه الجبهة المتحدة التي ما يفتأ ساستها ينادون بضرورتها للوقوف في وجه الشرق ومطالبه وإنشاء تكاتف يستندون اليها للتوسع وجهة النظر الاستعمارية — جميع هذه الاسباب جعلت من الشرق وحدة تسعى الى نوع من الاتصال ولئن كان هذا الاتصال السياسي غير محقق من الناحية الدولية لاسباب شتى الا ان الشرق سيطالب به كحق طبيعي كما سادت الديمقراطية نظم الحكم ، وعندما تتحقق فكرة المدنية الشرقية في وجوب المساواة بين الشعوب جميعاً — حتى ان الاتصال المعنوي ممكن وأدواته ميسرة : فان الروح الدينية التي ظهرت اول ما ظهرت في الشرق متشابهة بين الاديان المختلفة . وكلها ترمي الى مدى واحد وغاية واحدة وتصوّر الحياة وما بعد الحياة متشابه في غير الناحية الدينية ، وفكرة الشرق وجلال المعاني الروحية التي توحيه باعتباره مهبط العقائد والاديان ومثوى الانبياء والرسل والحكماء ، كل هذا يشترك في ربط قلوب الشرقيين ربطاً معنوياً يشعرنا بتقارب الاحساس والعطف والتفكير ، بل كل هذا يؤكد تحقق توارد العقائد والمشاعر المتصلة بالعبادات في الشرق

وتاجور يدعو الى هذه الدعوة ويكتبه يلمسها من الضمير الشرقي المستكن في وجدان جميع الشعوب الشرقية ، فهو يجاهد لبعث الروح المعنوي في الشرق ولتقوية الحياة السامية التي تدعو اليها العقائد ، على انها مصدر الاتحاد والالفة والخير . وعلى انها مبعث التفكير والايمان بسمو الروح وتغلب الضمير الانساني على جميع مرافق الحياة العملية

* * *

ولقيت تاجور في غرفته بفندق شبرد عند زيارته مصر سنة ١٩٢٦ ، بعد ان طاف عالك أوربا وسألته عما سيتوقف نفوذه في اوربا فقال

[illegible]

ولقد أثرت في نفسي هذه الزيارة بالغ التأثير ، دخلت عليه وهو في ركن من الغرفة ، يشع فيها نور بنفسجي هادىء ، وتاجور جالس في كرسي مريح في ثوب داكن فضفاض ، عاري الرأس الا من شعر فضي منسدل يكاد يصل الى كتفيه ، ولحيته طويلة بيضاء اكسبته جلالاً

وجلالاً ، وقد انبعثت من عيني الشاعر الكبيرتين نظرات تنقب الغيب وترقب الالهام ، نظرات هادئة أفاضت على المكان قدسية وشعراً ورهبة اشعرتني بأنني أمام قديس روحي ، يبشر بما يدعو اليه الشرق الجليل من تعاليم ووحدة روحية واتصال دائم بحقيقة الحياة ، فوقفت صامتاً حتى دعاني الى الجلوس ، فجلست بعد أن لمست أنامل ندية ، كنت أمني النفس بلثمها طويلاً ، وتجلت في النفس فكرة الروحية تنبعث من كيانه الهادي ، ولكن تاجور أناض علي بما أخرجني من شرود تفكيري ، فسمعت صوتاً حلواً يفيض عذوبة وحناناً :

« أأنت مصري ... قلت نعم ... قال أي سنك من يقرأ الادب الهندي في مصر . قلت اني أقرأ شعرك ومقبل عليه منذ سنين ، منذ تفتحت امامي مباهج الحياة ، وكتبت في أدبك في مجلة الهلال سنة ١٩٢٣ . فقال وماذا قرأت لي : قلت شيترا والبستاني وقطف الثمار وجيتانجالي فقال : وهل قرأت « سدهانا » فقلت نعم يا مولاي قرأته وترجمت أكثره الى العربية ، هذا كتابك وفلسفتك ومن رسائلك وهنا رفع تاجور بصره إلي ، فاذا عينان واسعتان ينبع منهما هدوء روحي وجمال قدسي لم تر على احتمال النظر اليهما إذ أقاما على وجهه الجليل هالة من نور ، فلمحت في صدره عقداً من الزهر الابيض بدلى كأنه اللؤلؤ المنظوم ، ثم سمعته يقول في نبرات موسيقية هادئة كمن يتحدث الى نفسه : اني مسرور بزيارتك ويلوح لي انك في مقتبل الشباب ، ومبتهج بما ينقل أدبي وفلسفتي من آراء ، فان كنت حقاً ظاهرة لشباب هذا الجيل في الشرق وفي بلدكم ، ملتقى الثقافتين ، فاني مطمئن الى تغليب روح الشرق وفلسفته في صميم معشر الشباب ... وأما شباب الغرب فيبدو لي أن أولاده مندفعون بأعصاب ثائرة الى نزع الانانية والالية ، واني مشفق على المدنية الاوروبية أن تنهار »

والتقى بتاجور غير واحد من المفكرين والادباء وقادة الرأي ، ولقد لقيه فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا مع رفيقه الدكتور طه حسين بك ، ولقد تحدثا اليه حديثاً اجتماعياً ، ووصفا تاجور وصفاً رائعاً بديعاً فقالا : « لتاجور سمت النفس الهادئة ويزيده الهرم هدوءاً ، فهو يتحرك في رفق اذا تحرك ، وينظر في رفق اذا نظر ، ويتحدث حين يتحدث في رفق أيضاً ، وقد أثرت الشيخوخة في ذلك الهيكل الانساني كله ، فبدلته من جمال الشباب جمال الهرم وجلاله ، غير عينين بقي لهما كل ما في الشباب اليانع من قوة وجمال ، في عذوبة ورحمة ، هما أدنى من ان يكونا من أثر الشباب أو من أثر الهرم

عينان سوداوان في صفاء ونور ، لم يخلقهما ترديد النظر في هذا العالم المادي الذي تختلف فتنته صفاء العيون ونورها ، كثيراً ما يطبقهما متحدثاً ومستمعاً ، حتى اذا رفع الى شيء بصره لم يرسله طويلاً ولا عمقاً وانما هي لمحة كوميض الالهام

ليس الذي يملأ نفسك في حضرة تاجور هو شعور الهيبة للعظمة الانسانية ، ولا شعور المخدوع لسلطان الفكر الطلق العميق ، ولا هو الاعجاب بموهبة شعرية بارعة حلقت بأعذب الاساطير ورددت أناشيدها الآفاق . انما الذي يملأ نفسك في حضرة تاجور هي تجلي فكرته الروحية في كل شيء من كيانه المادي ، كأنك تجد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، ومن غير تكلف لشيء من قوى مجهولة التي يريد الشعر الفيلسوف أن يتصرف الى الحب والسلام والرق ليس تاجور [illegible] ولا [illegible] [illegible] يكون في الانسجام شيء من [illegible] ، ولا يصدر تاجور من شيء

وقد يكون العبوس من حرج في الصدر وتشاؤم ، وتاجور لا يضيق صدره بشيء في هذه الدنيا ، فان له من وراء كل ضيق سعة في الغذاء الروحي ، عالم الحقيقة والطمأنينة والرضاء ، ذلك العالم الذي يريد تاجور أن يأخذ بمدينة القلوب الى تسديه اليه .

وأما حديث الشيخين الكبيرين مع تاجور ، فقد كان حديثاً عذباً جامعاً : قال أحدهما وهو يحدثه :

« ان مما يؤسف له ان زورة الشاعر الحكيم لمصر قصيرة لا تسمح له بأن يزور جامعتها المصرية الناشئة وجامعتها الازهرية العتيقة ويتحدث الى رجال هاتين الجامعتين » . قال تاجور « كم كنت احب ذلك وارغب فيه ، بعد ما لاحظته من ان في مصر ثقافة عالية جعلت شعب الاسلامي بمعزل عما يظهر عند الشعوب الاسلامية الهندية من الاسراف في الاستمساك بالقديم والاستعداء على حركة التجديد ، وما ينتج ذلك من الآثار على انه من النافع جداً ان تقوى الصلات بين مصر وبين الهند . فقد يكون في ذلك ما يعين على حل بعض المشكلات القائمة بين مسلمي الهند وغيرهم من الهندوس والواقع ان هذه المشكلات ثقيلة متعبة لحياة اهل الهند جميعاً ، ولقد رأيت ملك مصر اليوم ، ورجوت اليه ان يتفضل فيمنح جامعتنا هدية اعتقد ان سيكون لها في حل هذه المشكلة اثر عظيم . وهذه الهدية هي ما نشر في مصر وفي اوروبا من الكتب العربية في الادب والتاريخ وما اليهما ، فلو ان الهندوس استطاعوا ان ينظروا في هذه الكتب العربية ويفهموا منها الروح العربي الاسلامي فهماً حسناً ، لأعانهم ذلك من غير شك على فهم عقلية اخوانهم من مسلمي الهند . وقد تفضل جلالة الملك فأظهر تقديره لهذه الفكرة ووعد بأن يمنحنا هذه الهدية »

وسأل احد الشيخين تاجور : « وما رأيك في الاسباب التي جعلت مسلمي الهند حراصاً على القديم مستعصين على حركة التجديد أهي أسباب اجتماعية أم دينية أم هي غير هذه وتلك ؟ قال تاجور : هي فيما أظن اسباب متصلة بالتربية التي يتلقاها مسلمو الهند والتي تخضع خضوعاً شديداً جداً لتأثير شيوخهم من رجال الدين « ملا » فقد وصل هؤلاء الشيوخ مع مرور الزمن وما لهم على النفوس من سلطان الى اقناع الهندي المسلم بأنه يستطيع ان يجد في نفسه وفي كتبه وتقاليده كل ما يحتاج اليه دون ان ينظر الى غيره في امر من الامور ، واذا اقتنع الانسان هذا الاقتناع فليس من اليسير ان يعترف لغيره بفضل أو ان يشعر بالحاجة الى غيره ، على ان مسلمي الهند قد بدأوا يتطورون من هذه الناحية تطوراً مهما يكن بطيئاً شاقاً فهو واقع ولا بد من انه سيؤدي الى نتائجه الطبيعية »

وسأل احد الشيخين المفكرين : « ألم تفكر في توحيد ما بين المسلمين وغيرهم من اهل الهند من الناحية الدينية ، بأن يتحد مذهب أولئك وهؤلاء في الدين مثلاً »

فأجاب الشاعر الحكيم في قوة وشدة : كلا ! وما فكرت في ذلك وما ينبغي ان يفكر فيه أحد فذلك في ذاته غير ميسور ، وهو إن تحقق يضر أكثر مما ينفع ولا يعود على الانسانية الا بالخسارة الشديدة » . ثم داعب الشيخين بقوله : « أنتما تعلمان ان الدين انما هو لون من من ألوان التعبير الانساني عن العواطف والميول والمثل العليا ؛ وان هذا اللون من ألوان التعبير يتصل أشد الاتصال بأمزجة الافراد والامم ، تمثل لها تمثيلاً صادقاً قوياً ، فمن الثروة

للانسانية ان تحتفظ بهذه الالوان المختلفة التي عبرت بها الامم والشعوب عن عواطفها وميولها وطموحها الى الحق الذي لاحد له . ومن يحاول محو دين من هذه الاديان انما يبدّد بنوع ما شيئاً من هذه الثروة القيمة التي يجب ان تحرص عليها الانسانية . انك لا تستطيع أن تستغني بدين عن دين لان كلّ دين انما تلك مظهر قوي لمزاج الامة التي تدين به ؛ وهو طريق من الطرق التي تسلكها الانسانية الى الجهاد والحق والمثل الأعلا . فكر في المسيحية تجدها ديانة انسانية بمعنى انها تلتمس الحقيقة المطلقة من الطريق الانسانية الصرفة وفكر في ديننا نحن أهل الهند تجده ديناً كونيّاً ، بمعنى انهُ يلتمس الحقيقة المطلقة من طريق الكون السماوي وما فيه من العجائب والآيات ، يجب ان تحتفظ كل أمة بدينها بل يجب فوق ذلك ان تحتفظ الانسانية بدياناتها جميعاً »

ولكن أحد الشيخين استدرج فقال : « ولكنك أيها الحكيم ترى من غير شك ان الانسانية في حاجة الى ان يتحد مثلها الاعلى ، واذا لم تستطع الديانات ان تمثل هذا المثل الاعلى ، المشترك فما السبيل اليه ؟ » فقال تاجور : « ان المثل الاعلى للانسانية يجب ان يكون واحداً ، ويجب ان يكون مشتركاً ، وهو هذه الحقيقة المطلقة التي لا حد لها ولا سبيل الى استيعابها ، ولن يؤثر اختلاف الديانات في هذا المثل الاعلى من حيث هو واحد مشترك تتعاون الانسانية كلها على طلبه والسعي اليه ذلك ان هذا المثل سيظل واحداً وان اختلفت الطرق اليه ؛ وما الديانات المختلفة الا طرق متباينة ، ولكنها متحدة الغاية تنتهي كلها الى هذا المثل الاعلى الواحد المشترك ، ولقد رأيتَ ان الحقيقة المطلقة التي هي مثلنا الاعلى لاحد لها ولا سبيل الى استيعابها ، واذن فالمسيحية تنتهي بأهلها الى ناحية من انحاء هذه الحقيقة وديانتنا الهندية تنتهي الى نفس هذه الحقيقة ، وهكذا باقي الديانات . وما دامت الديانات كلها سبيلاً الى هذه الحقيقة المطلقة وما دامت في الوقت نفسه متصلة أشد الاتصال بأمزجة الافراد والجماعات وتمثلها أقوى تمثيل وأصدقه ، فلا خير مطلقاً في محاولة محو بعضها أو اضعافه أو تقوية بعضها دون بعض وانما الخير كل الخير أن تترك للافراد والامم الحرية الدينية التي تمكنها من ان تمثل شعورها وعواطفها وطموحها الى المثل الاعلى كما تريد وكما تستطيع . ذلك يغني الانسانية ويضاعف من ثروتها المعنوية »[1] هذه هي رسالة الشرق الكريم أداها شاعره وفيلسوفه أحسن الاداء

ربّ به البشر جميعاً
تنزهت عن كل لون وعنصر
ومحيطاً على جميع الامم وان اختلفت ألوانها
ووحد بين قلوبنا [illegible] وألف [illegible] دون الحبة
[illegible] روح [illegible] و[illegible]

(١) السياسة الاسبوعية ع ١٣٦ م